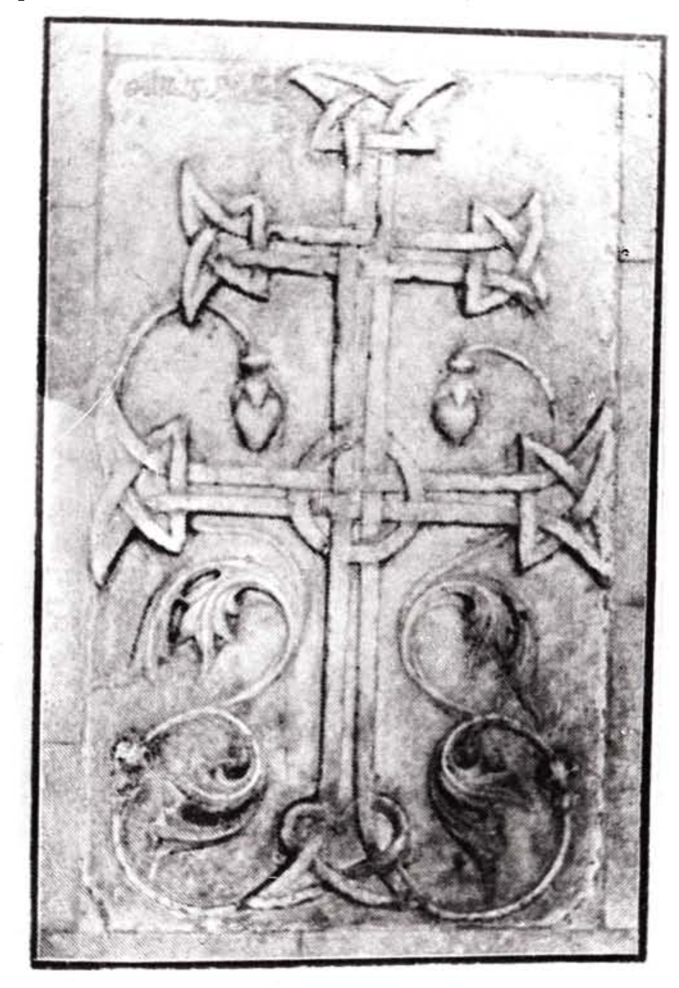
دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

دراسات في التقليد الكنسي
الكتاب الثالث

الصَّليبُ المُقدَّس

الأب متى المسكين

http://coptic-books.blogspot.com



صليب أثري موجود بالمتحف القبطي وهو على قطعة من المرمر عثر عليها في نقادة. وترجع إلى القرن العاشر.

وهو يعبِّر عن كيف أزهرت الآلام وأثمرت. فالصليب تخرج منه براعم وأوراق خضراء وزهور. هكذا تختفي الأفراح والنصرة داخل أحزان الصليب.

الصليب من الوجهة التاريخية

+++++

تعيَّد الكنيسة القبطية للصليب المقدس مرتين، الأولى في ١٠ برمهات و يوافق ١٩ مارس والأخرى في ١٧ توت و يوافق ٢٧ سبتمبر، أما العيد الرسمي في كنيستنا حسب التقليد فهو الواقع في ١٠ برمهات، بينما يوافق لدى الكنائس الأخرى في الغرب والشرق ١٤ سبتمبر(١) كتذكار دائم لتمجيد الصليب والتعييد لظهوره.

وظهور الصليب ـــ حسب التقليد الذي تسلمته الكنيسة ـــ كان على يد القديسة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطينوس، التي تكبدت أتعاب السفر إلى أورشليم وهي بالغة من العمر أكثر من سبعين سنة، وذلك لتكتشف القبر المقدس وتبني كنيسة هناك. وقد تمم الله لها فعلاً كل ما اشتاقت نفسها إليه كما أُوحي إليها، وبَنَت كنيستين: إحداهما على القبر المقدس وأسمتها في البداية أورشليم الجديدة، ولكن عُرفت فيما بعد بالأناستاسيس أي كنيسة القيامة (التي أكملها ولدا قسطنطين الملك)، والأخرى في بيت لحم.

والقديس أمبروسيوس أسقف ميلان (٣٣٩ـــ٣٩٧م)، هو أول من أشار إلى حادثة اكتشاف الصليب بواسطة الملكة هيلانة، وقد ذكرها في إحدى عظاته عن «انتقال ثيئوذوسيوس» التي ألقاها سنة ٣٩٥م.

وقد نقل قصة اكتشاف الصليب عن القديس أمبروسيوس كلٌّ من القديس يوحنا

---

(١) والفارق بين التاريخين (١٤ و٢٧ سبتمبر) يرجع إلى التعديل الفلكي للتقويم الميلادي المسمى بالتعديل الغريغوري والذي حدث عام ١٥٨٢م.

http://coptic-books.blogspot.com

ذهبي الفم (٣٤٧–٤٠٧م)، والقديس بولينوس الأسقف الذي من نولا (٣٥٣–٤٣١م).

و يقول القديس يوحنا ذهبي الفم :

[لأنه منذ ذلك الحين اندفنت خشبة الصليب إذ لم يوجد من يعتني بها وقتئذاك بسبب الخوف الشديد المحيط بالمؤمنين واهتمامهم بما هو أكثر ضرورة. ولكن عندما فُتش عنها فيما بعد وُجدت الصلبان الثلاثة مُلقاة معاً ولكن لم يكن صليب الرب مجهولاً إذ وُجد كما هو في الوسط وعليه العنوان.](٢)

أما بولينوس الأسقف الذي من نولا بفرنسا، فقد عُثر له على خطاب كان قد أرسله للكاتب الكنسي والمؤرخ المشهور ساليبيسيوس ساويرس يقول فيه إنه يرسل له قطعة من خشبة الصليب المقدس ويخبره أنه بالرغم من أن قطعاً كثيرة أُخذت من الخشبة إلا أن الخشبة لم تنقص قط. وقد ذاع بسبب ذلك القول إن خشبة الصليب تنمو من ذاتها.

ولكن الأسقف كيرلس الأورشليمي هو أكثر من استفاض في ذكر اكتشاف خشبة الصليب المقدس في عظاته التي ألقاها سنة ٣٤٨م، وكان يخاطب المؤمنين وهو داخل كنيسة القيامة مشيراً إلى التابوت الموضوع فيه الصليب. وكان قد مر على اكتشافه ما يقرب من خمسٍ وعشرين سنة. و يقول الأسقف كيرلس الأورشليمي في إحدى عظاته :

[لقد صُلب المسيح حقاً. ونحن إن كنا ننكر ذلك فهذه هي الجلجثة تناقضني التي نحن مجتمعون حولها الآن. وها هي خشبة الصليب أيضاً تناقضني التي وُزع منها على كل العالم.](٣)

و يقول أيضاً الأسقف كيرلس :

(٢) العظة ٨٥ على إنجيل يوحنا.

(3) Cat. Lect., XIII, 4.

[وخشبة الصليب تشهد للمسيح، التي نراها حتى هذا اليوم بيننا الآن، وقد ملأت كل العالم بواسطة المؤمنين الذين أخذوا قطعاً منها (إلى بلادهم).](٤)

وقد ذكر القديس كيرلس الأورشليمي إن خشبة الصليب المقدس قد وُجدت في زمان الملك قسطنطين (ولم يذكر الملكة هيلانة)، وذلك أثناء عمل حفر الأساسات لكنيسة القيامة.

و يذكر أيضاً قصة اكتشاف خشبة الصليب المؤرخ الكنسي سقراط (٣٨٠–٤٥٠م)، قائلاً إن الملكة هيلانة كانت مدفوعة للذهاب إلى أورشليم بواسطة رؤيا، وقد حزنت جداً لما رأت أورشليم خراباً. وقد بحثت كثيراً عن القبر المقدس وعثرت عليه بمعونة الله بعد جهد كثير. و يذكر سقراط أن السبب في اختفاء المكان هو بسبب تغطيته بالتراب على شبه هضبة أُقيم فوقها هيكل وثني على اسم الإلهة ڤينوس منذ مدة طويلة، إمعاناً في إخفاء مصدر عزاء وفرح وإيمان المسيحيين الذين كانوا يحجون إلى القبر و يوقرونه للغاية.

وقد أمرت الملكة هيلانة بهدم الهيكل ورفع الأتربة، فوجدت ثلاثة صلبان على مسافة رمية حجر من مكان القبر المقدس، وقد وجدت صليب الرب وعليه العنوان الذي كتبه بيلاطس. وقد تأكدوا من الصليب المقدس لما وضعوه على سيدة مريضة أمام القديس مكاريوس أسقف أورشليم فشُفيت.

وقد أقامت الملكة فوق القبر المقدس كنيسة فخمة أسمتها أورشليم الجديدة، كما بَنت كنيسة أخرى لا تقل عنها جمالاً فوق مغارة بيت لحم، الموضع الذي وُلد فيه المسيح، كما بدأت في إقامة كنيسة أخرى في الموضع الذي صعد منه على جبل الزيتون(٥).

والمؤرخ ثيئودوريت (٣٩٣–٤٥٨م) كتب أيضاً نفس القصة، حيث يذكر أن

(4) Cat. Lect., X, 19.

(5) Ecc. Hist., ch. XVII.

http://coptic-books.blogspot.com

الملكة التقية هيلانة تجشمت أتعاب السفر إلى أورشليم وهي تناهز من العمر ثمانين سنة تقريباً.

ويقول المؤرخ ستانلي في كتابه(٦) إنها جازفت بهذه الرحلة وهي في هذا العمر لتعزية نفسها بسبب إعدام آبنها كرِسْبُس.

ويبدأ ثيئودوريت يصف نفس الظروف التي مرت بها الملكة هيلانة في اكتشاف مكان القبر، ويتفق أيضاً مع المؤرخ سقراط أن الملكة وجدت في القبر المسامير التي سُمرت بها يدا المخلص وأرسلتها إلى آبنها الذي ثبَّت مسماراً منها على الخوذة الملكية التي يخوض بها المعارك — وقد صار فيما بعد تقليداً لدى الملوك أن يضعوا قطعة حديد في خوذاتهم وتيجانهم — وقد وُجد تاج الملكة ثيئودولينا في مونزا (القرن السادس عشر) يحتوي على قطعة حديد على هيئة مسمار.

كما يقول أيضاً — متفقاً مع سقراط — إنها أرسلت قطعة من خشبة الصليب إلى القصر الإمبراطوري في القسطنطينية. وبقية الصليب وُضع في تابوت من الفضة داخل كنيسة القيامة تحت حراسة الأسقف مكاريوس(٧).

والمعروف أن الملك قسطنطين أمر بتوزيع قطع من خشبة الصليب المقدس إلى كافة كنائس العالم وقتئذ. وقد احتفظت كنيسة روما بقطعة كبيرة، وهذا هو سر التوقير الشديد الذي لا تزال الكنيسة هناك حتى اليوم تقدمه — حسب الطقس اللاتيني — أمام بقايا الصليب المقدس يوم الجمعة الكبيرة. وليس في روما فقط بل وكافة الكنائس التي احتفظت بقطعة من الصليب المقدس بدأ فيها طقس تكريم «خشبة الصليب المقدس»، وظل الطقس سارياً كما هو حتى بعد فقدان هذه الذخيرة بمرور الزمن والحوادث.

(6) Stanley, East. Ch., p. 211.
(7) Ecc. Hist., ch. XVII.

وها هي كنيستنا لا تزال تحتفظ بالتسابيح والتماجيد التي كانت تُقدَّم «لخشبة الصليب المقدس»، ولكنها تقدمها الآن أمام أي صليب.

وقد عُثر على خطابين للأسقف غريغوريوس الكبير أسقف روما بتاريخ ٥٩٩م نتحقق منهما وجود خشبة الصليب المقدس في روما. يقول غريغوريوس الكبير في رسالته الأولى إلى ريتشارد ملك أسبانيا:

[وقد أرسلنا لكم مفتاحاً حديدياً من السلسلة التي كان مربوطاً بها جسد بطرس الرسول الطاهر عندما كان مُساقاً إلى الإستشهاد، لكي الذي ربط عنق بطرس الرسول يستطيع أن يحلّكم من خطاياكم. وقد أرسلنا لكم مع حامل هذه الهدايا صليباً بداخله قطعة من خشب الصليب المقدس الذي صُلب عليه الرب، وبعضاً من شعر يوحنا المعمدان.](٨)

وفي رسالة أخرى للملكة ثيئودوليندا ملكة لمباردز يقول:

[وقد اعتنينا أن نرسل إلى آبننا ملك أودولوڤالد صليباً يحوي قطعة من خشب الصليب المقدس الذي صُلب عليه الرب وفصلاً من الإنجيل في جراب فارسي.](٩)

ومما يحقق وجود صليب الرب في كنيسة القيامة قصة الحاجة إيثيريا سيلفيا (إيجيريا) الراهبة الأسبانية التي قامت برحلتها المشهورة في أواخر القرن الرابع إلى الأقطار المقدسة، وقد وصفت فيها بدقة وذكاء مدهش كل البلاد التي عبرت عليها: آسيا الصغرى والرها وبراري الأردن وجبل سيناء ومصر، وقد اعتنت بوصف الخدمات الطقسية التي كانت تُجرَى في كنيسة القيامة أثناء وجودها هناك، كما أتت على ذكر الطقوس والصلوات الخاصة بعيد الصليب أثناء وجودها واشتراكها في الخدمة أمام

(8) Epist. CXXII, B:9.
(9) Epist. XII, B:14.

http://coptic-books.blogspot.com

الصليب المقدس(١٠).

وقد ظلت خشبة الصليب المقدس موجودة بكنيسة القيامة إلى أن غزا الفرس الأراضي المقدسة واستولى خسرو الثاني ملك الفرس سنة ٦١٤م على التابوت الفضي الذي يحوي الصليب المقدس وحمله معه، وظل هناك إلى أن استرده الإمبراطور هيراكليوس سنة ٦٢٩م (زمن بطريركية البابا بنيامين الأول في مصر).

والكنيستان الغربية والشرقية تعيّدان ليوم اكتشاف الصليب مع يوم تدشين كنيسة القيامة مع يوم ظهور الصليب المنير في السماء للملك قسطنطينوس الكبير، وتضم الحوادث الثلاث معاً في يوم ١٤ سبتمبر (٢٧ سبتمبر الموافق ليوم ١٧ توت حسب التقويم القبطي الذي لم يتأثر بالتعديل الغريغوري). أما الكنيسة القبطية فلا تزال تحتفظ بيوم ظهور الصليب نفسه أي ١٠ برمهات بالإضافة إلى عيد تكريس كنيسة القيامة وظهور الصليب في السماء لقسطنطينوس الموافق ١٧ توت ــ ٢٧ سبتمبر. غير أنه يوجد تقليد في الكنيسة الإنجليزية الأنجليكانية بدأ منذ القرن الثامن للتعييد للصليب في يوم ٣ مايو، والمعتقد أنه يتبع تقليداً نابعاً من كتب الأبوكريفا.

ظهور الصليب في السماء:

يذكر لنا التاريخ عن ظهور علامة الصليب في السماء كعمود نور في ثلاث مرات:
المرة الأولى: ظهور الصليب في السماء للإمبراطور قسطنطينوس الكبير قبل البدء في الحرب لتشجيعه.

و يذكر هذه الحادثة يوسابيوس القيصري بدقة وحماس شديد(١١). و ينقلها عنه باختصار كل من المؤرخ سقراط وسوزومين و يضيف سوزومين إن يوسابيوس يؤكد أنه سمع الإمبراطور يعلن بقسم أنه بينما كانت الشمس قد مالت قليلاً بعد الظهر، رأى في

(10) Lambest Egeria.
(11) Eus., V, CI 28.

السماء ومعه الضباط والجنود أيضاً علامة الصليب من نور وتحيط بها كلمات تقول: «بهذا تغلب». وقد كان من تأثير المنظر أن تشجع قسطنطينوس على قبول المسيحية ودخوله في الحرب ضد الطاغية مكسينتيوس.

المرة الثانية: ظهور الصليب في السماء للقيصر جاللوس.

حسب رواية سقراط، إنه بعد أن أقام قسطنطينوس نسيبه جاللوس قيصراً وأعطاه آسمه، أرسله إلى أنطاكية بسوريا لحماية الأقطار الشرقية. فعند دخول جاللوس أبواب مدينة أنطاكية ظهر له في الشرق علامة المخلّص كعمود نور على هيئة صليب أذهل جميع من رأوها.

المرة الثالثة: ظهور الصليب كعمود نور في سماء أورشليم لكل الناس سنة ٣٥١م.

هنا يسرد هذه الحادثة شاهد عيان هو أسقف قديس، هو كيرلس الأورشليمي في خطاب أرسله للإمبراطور يصف ما حدث بالتفصيل. يقول القديس كيرلس الأورشليمي:

[وفي الأيام المقدسة لعيد الخمسين و بالتحديد في يوم ٨ مايو (الموافق ١٢ بشنس) ونحو الساعة الثالثة من النهار، ظهر في السماء صليب ضخم فوق الجلجثة وامتد حتى جبل الزيتون. ولم يره واحد أو آثنان ولكنه كان واضحاً جداً لكافة سكان المدينة، ولم يختف بسرعة كما كنا نتوقع كأنه خيال ولكنه ظل مرئياً للنظر الطبيعي ممتداً فوق الأرض عدة ساعات مضيئاً بنور أكثر لمعاناً من أشعة الشمس. و بالتأكيد إذا لم يكن لمعانه المنظور أكثر من قوة الشمس لكانت الشمس أخفته وضيعته. وقد تدافعت كل المدينة مرة واحدة إلى مكان المشهد مشدوهين خائفين إنما في فرح لرؤية هذا المنظر السماوي. وكل من في المدينة تدفق، صغاراً مع كبار، رجالاً مع نساء من كل الأعمار، ليس المسيحيون فقط بل والوثنيون من

http://coptic-books.blogspot.com

كل موضع، وجميعهم كانوا يسبِّحون للمسيح يسوع ربنا.](١٢)

وكان تعليق القديس كيرلس الأورشليمي على ظهور الصليب في السماء في تلك الأيام للإمبراطور هكذا:

[وهذا يُعتبر تحقيقاً لكافة ما أُنبيء به عن مجيء المسيح حتى الآن ومز يداً للتحقيق فيما بعد.]

ولعل هذه الظهورات المجيدة والأكيدة تشهد وتمهد للظهور العتيد أن يتجلى به الصليب إعلاناً لنهاية عصر طغيان الشيطان إلى الأبد عندما تظهر علامة ابن الإنسان في السماء كبشير سابق لمجيء المسيح في مجده. وفي ذلك يقول القديس كيرلس الأورشليمي:

[ولكي لا تقوى أي قوة معادية على تزييف مجيئه الثاني، قال إنه ستظهر «علامة ابن الإنسان» في السماء، وما هي علامة المسيح الحقيقية إلا الصليب؟ إذن فظهور الصليب منيراً سيكون العلامة التي تسبق أمامه لتعلن عن الذي سبق وصُلب.](١٣)



(12) Lib. of Christ., CL.4.
(13) Cat. Lect., XV.22.

الصليب من الوجهة الإيمانية

+++++

يستمد الصليب قوته الخالدة واللانهائية والخلاصية من موت يسوع المسيح ابن الله عليه. فالمرادف اللاهوتي لكلمة الصليب في المسيحية عميق غاية العمق، فكلمة «الصليب» تعادل في مضمونها الإيماني إنجيل الخلاص كله! فهي تعني في بساطة وإيجاز موت يسوع المسيح من أجل خطايانا، لذلك فالكرازة بالإنجيل تعني الكرازة بالصليب.

والكرازة بالصليب للناس لا تحتاج أقوالاً كثيرة أو حكمة عميقة: «لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح» (١ كو١: ١٧)، فالصليب قوة وليس كلاماً، أي أن الصليب لا يظهر للناس بالشرح ولكن بالإيمان والفعل: «فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلَّصين فهي قوة الله.» (١ كو١: ١٨).

فلكي نكرز بالصليب يلزمنا أن نؤمن بقوته ونحيا فيها ثم نقدمها للناس ليذوقوها.

وما هي قوة الصليب؟

أولاً — مصالحة:

فالمسيح على الصليب صالح الخطاة بالله على أساس أنه مات عوضاً عنهم كوسيط بينهم وبين الله، وسفك دمه لهم ليغتسلوا ويتطهروا ويتقدسوا به، لأنه دم ابن الله القادر أن يطهِّر أعماق الضمير من كافة الأعمال الميتة والخطايا التي تستحق الموت.

كما أن المسيح على الصليب صالح الإنسان بالإنسان، لأنه قتل العداوة نفسها بالصليب عندما جعل نفسه وسيطاً بين كل عدوَّين متخاصمَين في الوجود يدفع عن كل

منها ديونه وتعدياته وإساءاته : «يصالح الإثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به.» (أف ٢ : ١٦)

فالذي يتمسك بالصليب يستمد منه قوة الصلح والسلام التي أحرزها المسيح عليه، حتى يتصالح بها كل إنسان مع الله والناس: «عاملاً الصلح بدم صليبه» (كو١ : ٢٠)، ليس كأنها مرة واحدة بالإيمان وحسب بل بالممارسة اليومية، جاعلاً الصليب الملطخ بدم المسيح أمامه كل حين يستمد منه الشجاعة والجراءة للقدوم إلى الله للخلاص من الخطية فلا ييأس قط، كما يستمد منه العون والمؤازرة ليصفح حالاً عن أخيه و يتنازل عن حقه لكل من يسيء إليه متمسكاً بقوة الدم الكريم الذي تخضبت به خشبة الصليب.

ثانياً — انعتاق من سلطان الخطيئة:

سلطان الخطيئة يتغلغل فينا عن طريق الجسد، فإرتباطنا بالخطيئة هو بواسطة الجسد. والمسيح أخذ جسدنا ومات به نيابة عنا على الصليب، فأنهى بذلك كل ارتباط بين الخطيئة و بيننا، لأن الجسد الذي كنا مرتبطين به مع الخطيئة مات على الصليب: «إذ مات الذي كنا ممسَكين فيه» (رو٧ : ٦)، أي الجسد.

«وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغَلَف جسدكم، أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمَّراً إياه بالصليب» (كو٢ : ١٣ و١٤). وهنا يقصد الرسول بكلمة «مسمَّراً إياه بالصليب» الجسد، وفي نفس الوقت صك الخطايا!!

إذن فالذي يمسك بالصليب كرمز لقوة الموت الإرادي عن الجسد فإنه ينال الإنعتاق من سلطان الخطيئة، و يصير حراً بروحه ليعبد «بجدة الروح لا بعتق الحرف.» (رو٧ : ٦)

هنا قوة الصليب حقيقية وسرية في نفس الوقت، وهي قوة موت وقوة حياة معاً.

وكلما ركز الإنسان إيمانه وجهاده للحصول على هذه القوة ينالها و يقهر بها سلطان الخطيئة.

ثالثاً — إنعتاق من موت الكبرياء وقبول قوة الإتضاع:

علامة الصليب رمز موت الخزي والعار عند العالم، فالرومان لم يستخدموا الصليب لمجرد الإعدام وإنما للتشهير والفضيحة، فوسائل الإعدام كانت كثيرة عندهم. ولم يكن يُحكم على إنسان روماني الجنس قط بالصليب. فالصليب كان للأدنياء. لذلك نسمع بكل وضوح الكتاب يقول إن المسيح «احتمل الصليب مستهيناً بالخزي» (عب١٢ : ٢). إذن، فالصليب آية اتضاع ابن الله!! والكتاب يقولها صراحة: «وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب.» (في٢ : ٨)

إذن، فقد شفى المسيح موت كبرياء الإنسان بفضيحة موت عار الصليب. ودفع ثمن عجرفة مخالفة بني آدم بمذلة طاعة الموت على الصليب.

ولكن من حضيض مذلة الصليب استخرج لنا المسيح الخلاص من الموت والإنعتاق من الكبرياء الذي قتلنا.

إذن، فليس قوة في الوجود تلهم الإنسان الإتضاع وتشفيه من الكبرياء قدر قوة الصليب حينما يستلهم منها الإنسان في كل لحظة مواقف التنازل والإنخفاض: «فلنخرج إذن إليه خارج المحلة حاملين عاره» (عب١٣ : ١٣). «إن أراد أحد أن يأتي ورائي ... فليحمل صليبه كل يوم و يتبعني» (لو٩ : ٢٣)، أي يحمل اتضاعه ويحتمل مذلته مثلي. ومن خلال خزي الصليب وعاره إستطاع المسيح أن يعلن حكمة الله ومجده.

لذلك، فالصليب هو قوة الإتضاع التي هي بعينها حكمة الله لخلاص الإنسان ومجده.

http://coptic-books.blogspot.com

رابعاً ـ غلبة الشيطان:

إن من أعمق أسرار الصليب إندحار الشيطان بواسطته. فالرب لما سُمِّر على الصليب، صدر في الحال حكم الله بدينونة الشيطان وهلاكه الأبدي بمقتضى العدل الإلهي. لأنه عندما تسبب الشيطان في موت الإنسان كان له عذر، إذ أن الإنسان وافق مشيئة الشيطان وعصى الله مثله واستحق الموت واللعنة. ولكن لما تسبب الشيطان في موت ابن الله لم يكن له أدنى عذر، لأنه معروف أن المسيح لم يصنع خطيئة واحدة ولا وُجِدَ في فمه غش، وتمم كل مشيئة الله. إذن فقاتل البريء لا بد أن يُقتَل!!

لقد اكتشف الشيطان مخالفته العظمى لله على الصليب!! وسقط في يد ابن الله!! فبمجرد أن قَبِل المسيح الموت تجرد الشيطان من كل سلطانه! «إذ جرَّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه (في الصليب)» (كو٢: ١٥). كان الشيطان قبل الصليب يجهل مصيره، أما على الصليب فقد عرف كل ما ينتظره. لذلك صار له الصليب وثيقة الدينونة التي سيحاكم بمقتضاها وصورة الحكم بالهلاك الأبدي!

ومن هنا أصبحت علامة الصليب علامة رعبة للشيطان وكل جنوده. لقد ترك الله الشيطان مقيداً بالصليب الآن إلى أن يأتي زمان الدينونة. وأصبح لكل إنسان، حتى الطفل، سلطان أن يقيد الشيطان بالصليب كما قيده المسيح وحل قوته وسلطانه.

لذلك فكل من يتمسك بقوة الصليب يأخذ غلبة على الشيطان.

الصليب من الوجهة السرية

SACRAMENTAL

الصليب كان أداة فعالة تمت عليها و بواسطتها أسرار عظمى للإنسان: الخلاص والصلح والسلام والغفران والشفاء من موت الكبرياء، ودحر قوة الشيطان وتقييده.

فصار الصليب وهو حامل لمضمون هذه القوى الإلهية المتعددة، لا يُحسب بعد كمجرد أداة تمت عليها هذه النعم والبركات والأسرار العظمى، بل كسِرٍّ فعال يحمل قوتها واستمرارها. وفعلاً يشدد القديس بولس الرسول على هذا المعنى للصليب المقدس و يبرزه بصورة واضحة خالصة «عاملاً الصلح بدم صليبه» (كو١: ٢٠). إذن، فالصليب في اعتبار الرسول قوة فعالة متصلة إتصالاً جوهرياً سرياً بدم المسيح. هنا نلاحظ أن الدم الإلهي ينسبه الرسول إلى الصليب كما اعتدنا أن ننسبه إلى المسيح نفسه. فكما نقول «دم المسيح» يقول القديس بولس الرسول «دم الصليب» (١).

و بذلك يبرز لنا الوحي الإلهي المضمون الإلهي السري للصليب! وهنا يضطرنا عجز اللغة العربية إلى أن نشرح كلمة «السري»، إذ لا يقصد بها معنى «الخفي» فقط، وإنما يُزاد عليها معنى «مواهب النعمة» التي هي ترجمة الكلمة اليونانية «خارزماتا» Χάρισματα = Charismata. و بذلك فكلمة «السري» هنا هي بالمفهوم الكنسي «مواهب النعمة الخفية» أي: sacramental. أي أن الصليب يحمل قوة إلهية ذات مواهب للنعمة غير منظورة، و بذلك دخل الصليب ضمن أسلحة إيمان المسيحي

(١) «وأمّن بدم صليبه ووحّد وألّف السمائيين مع الأرضيين، والشعب مع الشعوب والنفس مع الجسد» (القسمة السريانية).

القـويـة بالنسبة للمؤمنين بسر اللاهوت و بأسرار التدبير الإلهي. أما سر اللاهوت فهو سر الثـالـوث، وسر الـتـجـسـد، وسر الفداء، وأما أسرار التدبير الإلهي فهي الأسرار الكنسية السبعة المعروفة.

١ ـــ الصليب وسر اللاهوت

أولاً ـــ بالنسبة لسر الثالوث:

إن الإرتبـاط بين الصليب وسر الثالوث بالنسبة للإيمان المسيحي هو ارتباط جذري، لأنـه لـولا مـوت الإبـن المـتـجسـد وقـيـامته ما استطعنا أن نكشف ألوهية المسيح و بنوته الجوهر ية للآب: «وتـعين آبـن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو١: ٤). ثم إن ألـوهـيـة الإبـن كـشـفـت ألوهية الروح القدس. وهكذا صار الصليب الـواسطة الفعالة لكشف سر الثالوث في الله الواحد: الآب والإبن والروح القدس، الأمر المغلق على العقل «الذي لم يُعرَّف به بنو البشر.» (أف٣: ٥)

إذن، لا يمـكـن الـوصول إلى الإيمان بالثالوث إلا عن طر يق الإيمان بموت المسيح على الـصـلـيـب وقـيـامته، من هنا دخل الصليب كقوة إيمانية كاشفة لبصيرة الإنسان ومنيرة للذهن بها يستطيع أن يبلغ الإنسان إلى الإيمان بالثالوث.

لـذلك نجد أن كـل صـلاة داخـل الـكـنـيـسـة أو خارجها لا بد أن تبدأ بالإعتراف بـالـثالوث الأقدس، فنسمع الكاهن يقول في بدء كل صلاة طقسية وغير طقسية: «باسم الآب والإبـن والـروح الـقـدس الإلـه الواحد آمين». وفي نفس الوقت يلتزم الكاهن أن يرفع الصليب و يرشم به نفسه على مثال الصليب.

وهـنـا رشـم الـصـلـيـب هـو لإستمداد قوة الصليب للإعتراف العلني بسر الثالوث، بـاعـتـبـار أن مـوت الإبـن على الـصـلـيب وقيامته هو المدخل الأساسي لمعرفة سر الثالوث والإيمان به.

ومـا هـو مـفـروض على الكاهن مفروض على كل مسيحي، إذ ينبغي أن يبدأ صلاته الخـاصـة أو يبدأ كلامه وشهادته في وسط المؤمنين باسم الثالوث و برشم الصليب تدعيماً للإيمان المسيحي واعترافاً علنياً به.

ثانياً ـــ بالنسبة لسر التجسد:

لم يـكـن ممـكـنـاً أن يستعلن سر التجسد الالهي إلا بواسطة الصليب. لأن الذي حقق لـنـا أن آبـن الله أخـذ جـسـداً حقيقياً مساو ياً لنا تماماً، هو موته على الصليب، ثم أثبتت قيامته أن جسده كان خالياً من الخطيئة تماماً أي كان جسداً إلهياً!

وبمـا أن الـصـلـيـب هو الذي كشف لنا حقيقة سر التجسد الإلهي، لذلك صار تعبيراً عن الإيمان بهذه الحقيقة الإلهية المعجزة.

ولـكـن، مـعـروف أن آبـن الله تجسد ليصل إلى الصليب بسهولة و يتمكن من الموت عـلـيـه، حتى بمـوتـه على الصليب يوفي عنا عقوبة الموت و بقيامته حياً بجسده يعطينا نفس الحـيـاة: «فـإذ قـد تشارك الأولاد في اللحم والدم آشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت (الصليب) ذاك الذي له سلطان الموت.» (عب٢: ١٤)

إذن، فـمـجـرد رسـم عـلامـة الصليب على أنفسنا يُحسب إيماناً وشهادة أن الله ظهر في الجسد ومات وقام، ليس كمجرد تعبير عن هذا الإيمان وإنما تقبُّلاً باطنياً لهذا السر، لأن الله أخـذ جـسـداً هـو في الحـقـيـقـة جسدي وجسدك وجسد كل إنسان، ما خلا الخطيئة، واتحد به جاعلاً إياه واحداً مع لاهوته، حتى إن كل ما يعمله بهذا الجسد يكون لنا نصيب فيه: «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم آشترك هو أيضاً كذلك فيها». لذلك فحينا أؤمـن بـالـتـجـسـد الإلهـي وبموت الرب وقيامته، أدخل ضمناً في هذا السر الإلهي الفائق كـشـر يك فـيـه. وحينا أرشم ذاتي بالصليب أُهيىء نفسي لقبول شركة في هذا التجسد

http://coptic-books.blogspot.com

والموت الذي تم من أجلي، وفي جسد هو من جسدي حتى أنال منه أيضاً الحياة:

[البحر هو العالم والكنيسة تعبر فيه وتتصادم بأمواجه ولكنها لا تتحطم لأنها تحمل رباناً ماهراً هو المسيح، وترفع في وسطها علامة النصرة فوق الموت التي هي صليب ربنا.]

هيبوليتس (٢٣٥م)(٢)

ثالثاً – بالنسبة لسر الفداء:

الفداء معناه انعتاقنا من سطوة القوة الشريرة التي استولت علينا بسبب انفصالنا عن الله، وذلك بواسطة دفع ثمن مساوٍ.

فموت المسيح الكفّاري وسفك دمه على الصليب هو الثمن المدفوع فدية عن كل نفس تؤمن بالمسيح وبموته على الصليب: «الذي فيه لنا الفداء بدمه» (أف ١: ٧)، إذ «صار موتٌ لفداء التعديات» (عب ٩: ١٥). لذلك كل من فداه المسيح بالدم على الصليب أصبح محسوباً أنه يتبع قطيع الرب، لأن المسيح اشتراه من عدو قتّال هو الموت: «إنكم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشتُريتم بثمن» (١كو ٦: ١٩و٢٠)، هذا الثمن هو الصليب. لذلك أصبحت إشارة الصليب هي صك الحرية من عبودية الموت والخوف والرعبة من أهواله: «لكي يبيد بالموت (الصليب) ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس و يعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً – كل حياتهم – تحت العبودية.» (عب ٢: ١٤و١٥)

لهذا نرى في التقليد المسلّم لنا من الآباء أن رشم إشارة الصليب قوة ترفع عنا أي خوف من أي نوع أو أي رعبة تهددنا، باعتبار أنه بالصليب قد نلنا حرية من عبودية الموت وممن له سلطان الموت، أي إبليس مع كل تهديداته، سواء كانت قوات الظلمة

(2) De Antichrist 59, ANF, vol. V, p. 216.

الخفية أو قوات الشرير المنظورة.

فبقدر ما تعطينا إشارة الصليب من قوة للتحرر من الخوف والرعبة ومن سلطان الشر باعتبار أنها الثمن المدفوع بسفك دم المسيح لحياتنا، بقدر ما هي في نفس الوقت ترسل الرعبة والدمار على قوات إبليس فتبددهم باعتبار أن المسيح دَحَر الشيطان على الصليب وقيده بهذه العلامة إلى يوم الدينونة العظيم.

٢ – الصليب وأسرار الكنيسة السبعة

العلاقة بين الأسرار السبعة في الكنيسة و بين الرشم بالصليب علاقة فوق الوصف، و بالإجمال لا يمكن أن يتم أي سر بدون رشم الصليب.

والسبب في ذلك أن الأسرار السبعة هي نقطة تحول في الإيمان من حالة نطق واعتراف إلى حالة عمل وممارسة:

[إن سر اللاهوت يمكن أن نحصل عليه دائماً حينما نعترف بالثالوث المقدس الآب والإبن والروح القدس، أما خلاصنا فإنه يتثبَّت حينما نشترك في الأسرار المرسومة ورموزها... ومن بين هذه المرسومات المفروضة علامة الصليب والصلوات والمعمودية والإعتراف بالخطايا.](٣)

(القديس غريغوريوس النيسي)

لذلك فالأسرار جميعاً تحتاج إلى قوة سرية حتى تنسكب النعمة على المؤمن الذي يمارس السر إلى أن يكمُل فعله فيه. وهذه القوة تتم باستدعاء الروح القدس بعد أن يُرشم المؤمن بالصليب كما تُرشم مادة السر أيضاً.

(3) Greg. of Nyssa, Against Eun., B,XI, ch. 5.

http://coptic-books.blogspot.com

وهنا رشم الصليب يحمل سر اللاهوت وقوة فعله:

+ فالرشم بالصليب اعتراف بالثالوث، و بالتالي دخول في مجال قوته.

+ والرشم بالصليب اعتراف بالتجسد الإلهي، و بالتالي الحصول على الموت والحياة.

+ والرشم بالصليب اعتراف بالفداء، و بالتالي نوال الإنعتاق من كل سلطان إبليس وقواته المنظورة وغير المنظورة.

أولاً — الصليب في المعمودية والمسحة:

١ — يُرشم الماء بالصليب باسم الآب والإبن والروح القدس ختم سر اللاهوت المثلث القوى أي:

+ تحل قوة الثالوث على الماء «في حالة المعمودية بتدخل الثالوث».

(القديس يوحنا ذهبي الفم) (٤)

+ «لقد اعتمدتَ باسم الله، إذن فاعترفْ باسم الثالوث آب وابن وروح قدس ثلاثة أقانيم، هؤلاء الثلاثة سيكونون سوراً منيعاً لك ضد الإنقسام والخصام. ولا تشك في هذا الحق لئلا تهلك بواسطته».

(في التوبيخ والتوبة للقديس مار أفرآم السرياني) (٥)

+ وتصير طبيعة الماء مميتة ومحيية، مميتة لخطايا الجسد ومحيية للروح في الله.

+ وتنحسر كل قوة الشيطان عن الماء فيصير الماء مقدساً وطاهراً فيحل الروح القدس في الماء تبعاً لذلك، و يصير الماء حسب قول القديس كيرلس الأورشليمي: [حاملاً المسيح.] (٦)

---

(٤) العظة ٧٨ على إنجيل يوحنا.

(5) NPNF, 2nd series, vol. VIII, p. 330.

(6) Procat. 15, Qusaten, III, p. 374.

+ وتتم الولادة السرية بالتغطيس ثلاث مرات:

[والتغطيس يتم ثلاث مرات حتى نعلم أن قوة الآب والإبن والروح القدس تصنع هذا.]

[و بذلك ليست المعمودية فقط تدعى صليباً بل والصليب أيضاً يُدعى معمودية.]

(القديس يوحنا ذهبي الفم) (٧)

٢ — ثم يُرشم المعمَّد بالميرون على كافة أعضاء جسده ٣٦ رشماً بالصليب:

[و يتقبلوا على جباههم العلامة العظيمة المرتفعة (التي للصليب).]

(لكتانتيوس ٢٦٠ — ٣٣٠م) (٨)

[يقف حملان المسيح بالفرح حول جرن المعمودية، حيث في الماء يلبسون صورة الصليب الحي الإلهي والكل يُختم به ختماً كاملاً.]

(من تسابيح عيد الظهور للقديس مار أفرآم السرياني)

فيحل على المعمَّد سر اللاهوت بفعله المثلث القوى كما حدث في الماء، أي:

+ تحل قوة الثالوث على المعمَّد.

+ وتصير طبيعته البشرية الجديدة ميتة للخطية (أي ليس للخطية سلطان الموت عليها)، وحية لله (أي ذات حياة أبدية فيها).

+ تنحسر قوة الشيطان عن الإنسان فيصير مقدساً طاهراً فيحل الروح القدس تبعاً لذلك و يسكن فيه باعتبار أنه صار هيكلاً لله «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم... لأن هيكل الله مقدسٌ الذي أنتم هو.» (١ كو٣: ١٦و١٧)

---

(٧) العظة ٢٥ شرح إنجيل يوحنا.

(8) The Divine Institutes, Book IV, ch. XXVI. ANF, vol. VII, p. 129.

ثانياً — الصليب في الإفخارستيا (سر التناول):

لكي يكمل الكاهن خدمة القداس الإلهي، أي يهيىء الأسرار المقدسة للمتناولين ثم يهيىء المتناولين للأسرار المقدسة، يُجري ثلاث مجموعات من الرشومات بالصليب بكل دقة وحذر عددها ٤٢ رشماً.

المجموعة الأولى:

وعددها ١٨ رشماً بالصليب على الخبز والخمر ليتم تقديسهما، و يعدهما للتحول إلى جسد ودم المسيح بحلول الروح القدس.

المجموعة الثانية:

وعددها ١٨ رشماً بالصليب على الشعب وعلى نفسه وعلى الشمامسة حتى يقدسهم و يعدّهم مع نفسه لحلول الروح القدس ليؤهلوا جميعاً للتناول من الأسرار المقدسة، أي من الجسد الإلهي والدم الإلهي.

المجموعة الثالثة:

وعددها ستة رشومات على الجسد والدم بعد التحول، ولا يكون هذا الرشم بواسطة صليب اليد وإنما يكون بواسطة غمس الأصبع في الدم والرشم به على الجسد، ومسك جزء من الجسد (الأسباديقون) والرشم به على الكأس، وذلك ليصير الجسد والدم معاً وحدة واحدة وسراً واحداً.

ومفهوم الرشم بالصليب على الخبز والخمر باسم الآب والإبن والروح القدس هو في الواقع لتحقيق سر اللاهوت، أي حلول سر الثالوث وسر التجسد وسر الفداء. ثم بعد الرشومات مباشرة يستدعي الكاهن الروح القدس فيحل على الخبز والخمر بدون مانع لأنه يكون قد صار تقديسهما بالرشم والصلاة. و بذلك يصبح الخبز والخمر جسداً ودماً يحو يان معاً قوة سر اللاهوت وطبيعة الجسد والدم، حتى إن كل من يتناول منهما يصير

مؤمناً معترفاً متحداً بسر الثالوث وسر التجسد وسر الفداء وحائزاً لنعمة وطبيعة هذه الأسرار: «كل مرة تأكلون من هذا الخبز (السمائي) وتشربون من هذه الكأس (البركة) تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي وتذكرونني إلى أن أجيء» (٩).

ثم مفهوم رشم الكاهن بالصليب على الشعب وعلى نفسه وعلى الشمامسة الخدام بالثمانية عشر رشماً التي يختمها برشومات الثلاثة تقديسات، هو لكي يكون الشعب والكاهن والشمامسة قد تقدسوا بحلول السر الإلهي المثلث القوى، أي قوة سر الثالوث وقوة سر التجسد وقوة سر الفداء. وهذا استعداد لحلول الروح القدس الذي يهيىء المتناولين لنعمة الجسد والدم.

من الإشارات القديمة جداً التي توضح ضرورة رشم الكاهن لنفسه بالصليب على جبهته عند بدء القداس، ما وُجد في قداس القديس يعقوب الرسول الذي تحقق العلماء من قدم المخطوطة الحاوية لهذا القداس مع بقية تعاليم الرسل التي وصلت إلينا، ونسبوها على الأقل إلى منتصف القرن الثاني الميلادي:

[ولْيلبَسْ ثوبه البراق و يقفْ بجوار المذبح و يصنع رشماً بالصليب على جبهته بيده أمام كل الشعب و يقول: نعمة الله القادر على كل شيء ومحبة ربنا يسوع المسيح وشركة الروح القدس تكون مع جميعكم.]

ثم مفهوم رشم الجسد والدم منهما وإليهما بدون استخدام الصليب، يوحّد الجسد والدم فيصبحان سراً واحداً. تقول القسمة السريانية مؤمِّنة على هذا العمل السري: «هكذا نؤمن أن هذا الجسد لهذا الدم وهذا الدم لهذا الجسد، أنت هو يسوع المسيح».

وقداس القديس يعقوب الرسول يوضح جداً هذه الحقيقة السرية بصلاة خاصة مع رشم الصليب إذ يقول:

(٩) القداس الإلهي.

[وعندما يقسم الكاهن الخبز (السمائي) إلى قسمين و يضع النصف في يده اليمنى والنصف الآخر في يده اليسرى، يغمس النصف الأيمن في الكأس و يقول: «الإتحاد الذي للجسد الكلي القداسة والدم الثمين الذي لربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح»، ثم يرشم به صليباً على النصف الأيسر، و يرشم بالأيسر صليباً على النصف الأيمن واضعاً قطعة في الكأس و يقول: «قد صار واحداً وتقدس وأكمل باسم الآب والإبن والروح القدس».]

ومن هذا يتحقق أن الرشومات بالصليب في سر الإفخارستيا عامل أساسي لتقديس القرابين والكاهن والشعب، وأن هذا التقديس ضرورة حتمية لإمكانية حلول الروح القدس الذي:

أولاً: يحول القرابين ويجعلها حاملة لسر اللاهوت وسر طبيعة جسد ودم المسيح.

ثانياً: يهيىء المتناولين لاستحقاق قبول هذه الأسرار الإلهية الفائقة.

ثالثاً: الصليب في سر الإعتراف:

معروف أن قوة المغفرة التي يستمدها الكاهن ليحُل المعترف من رباط خطاياه و يعتقه من عقوبة تعدياته على وصايا الله، إنما يستمدها من دم المسيح المسفوك على الصليب. لذلك فتوسط الصليب بين الكاهن والمعترف ضرورة يحتمها الطقس كما يحتمها اللاهوت.

فالكاهن يضع الصليب ملاصقاً لرأس المعترف المنحنية من ثقل الخطية، أما الكاهن فيرفع رأسه هو إلى السماء و يداه الإثنتان مبسوطتان بالصليب فوق رأس المعترف، وعندما يصلي يرشمه باسم الآب والإبن والروح القدس إستدعاءً لسر اللاهوت للتقديس، أي سر الثالوث وسر التجسد وسر الفداء. ثم يكمل الصلاة إلى أن يأتي ذكر الروح القدس فينفخه فوق رأس المعترف الذي بحلوله يتهيأ المعترف لقبول فعل دم المسيح السري للتطهير الكلي من كل خطيئة، بثلاثة رشومات بالصليب فوق الرأس

مع كل كلمة من هذه الكلمات الثلاث: باركهُ، طهِّرهُ، حالِلْهُ.

ومن هذا يتبين أن توسط الصليب والرشم به ضرورة حتمية في سر الإعتراف، لأن بالصليب يتم تقديس المعترف أولاً لإعداده لحلول الروح القدس، ثم بالصليب يتوصل إلى قوة الدم الإلهي للتطهير، و بالصليب في النهاية يتم الحِلُّ وتتم المصالحة. و يقوم المعترف رافعاً رأسه أيضاً بالشكر والتسبيح للمسيح الذي حمل خطاياه على الصليب.

رابعاً: الصليب في سر مسحة المرضى:

هنا يتم تقديس الزيت أولاً، برشم الصليب عليه سبع مرات عند قراءة القراءات السبع المناسبة من الأناجيل، و بإيقاد سبع فتايل أو شموع.

أما رشم الزيت بالصليب فهو لتقديسه بحلول سر اللاهوت. أما إيقاد الفتايل أو الشموع، فهو بصفة إستدعاء الروح القدس الذي يمثله العهد القديم وسفر الرؤيا بسبعة أرواح الله التي أمام العرش: «وأمام العرش سبعة مصابيح نار متقدة هي سبعة أرواح الله.» (رؤ ٤: ٥)

والإلتجاء إلى النور لإستدعاء الروح القدس، هو في الواقع تعبير سري mystical عن فعل الروح القدس في تبديد الأرواح النجسة المعبر عنها بقوات الظلمة وكل أعمالها الشريرة وأفكارها وأوهامها المتسلطة على العقل أو النفس أو الجسد، بصفتها المسئولة مباشرة أو غير مباشرة في إيقاع الإنسان في الأمراض سواء العقلية أو النفسية أو الجسدية، سواء بعمل الخطيئة أو بإهمال وسائط النعمة.

[الصليب هو إلى هذا اليوم يشفي المرضى و يطرد الشياطين و يبدد الشعوذة و يلغي أثر عقاقير السحر والتعويذ.]

(القديس كيرلس الأورشليمي)[١٠]

---

(١٠) في عظة له سنة ٣٤٨م. (10) Cat. Lect., XIII, 40

http://coptic-books.blogspot.com

[بعلامة الصليب يقف كل سحر، وكل عرافة تفقد قوتها ... وكل شهوة باطلة تنصد.]

(القديس أثناسيوس الرسولي)(١١)

وسر المسحة يتم برشم المريض بالزيت على مثال الصليب، فينال قوة التقديس بسر اللاهوت. ثم ينال من الزيت فعل الروح القدس المعبَّر عنه بسر النور الإلهي الذي يبدد قوة الأرواح الشريرة المعبَّر عنها «بشيطان الظلمة» وجميع أعمال الظلمة وتأثيراتها.

وفي الواقع وبالخبرة، نجد أن هذا السر أقصى استعلان لقوة الصليب المقدس وفعله المنظور، لأن جميع المرضى الذين يكون مرضهم بتدخل الأرواح الشريرة يستجيبون إستجابة واضحة شديدة لمجرد رفع الصليب على رؤوسهم، حيث تتجلى قوة الصليب غير المنظورة عندما تصرخ الأرواح الشريرة من منظر الصليب برعبة وفزع ولا تطيق البقاء بسبب الصليب ولا سيما إذا كان النور مرادفاً له.

ومن الأمور المحققة بالخبرة أن كثيراً من المرضى الذين يشْكون من أمراض حقيقية عضوية ويشخِّصها الأطباء المتخصصون تشخيصاً مرضياً بعوارض حقيقية، ثبت لدى الصلاة على بعضهم أنها من فعل الأرواح الخبيثة الشريرة وأنها انتهت وتلاشت في الحال بمجرد انتزاع الأرواح الشريرة من تسلطها على أجسادهم. وقد اعترفت الأرواح الشريرة بأنها هي التي تسببت في هذه الأمراض، وكاتب هذه السطور رأى وسمع ويشهد بذلك.

[ويكفينا الآن أن نوضح القوة الفعالة العظيمة التي لعلامة الصليب وكيف أن هذه العلامة أصبحت فزعاً للشياطين. لأنه كما أن المسيح عندما كان عائشاً بين الناس كان يطرد الشياطين بكلمته ويعيد للمرضى والمنزعجين والمجانين صحتهم وحواسهم التي أفسدتها الشياطين بهجماتهم الخطيرة، والتي اندست داخل أجسادهم، كذلك الآن فإن أتباع المسيح يُخرجون هذه الأرواح النجسة من

(11) Inc. of the Word. 31.

الناس باسم المسيح وبعلامة الصليب ... فتخرج معذبة مصروعة معترفة أنها شياطين ومستسلمة لمصيرها بيد الله. ولكن الشياطين لا تجرؤ أن تقترب من المسيحيين حينما ترى منهم هذه العلامة السماوية (الصليب)، ولا تستطيع أن تسيء إلى من لهم هذه العلامة الحية (الصليب) التي تصير لهم مثل سورٍ منيع يحميهم.]

(لكتانتيوس)(١٢)

[لأن الصليب إذا أردنا أن نصفه فهو علامة تثبيت النصرة، الطريق الذي انحدر عليه الرب إلى الناس، علامة هزيمة الأرواح، صدُّ الموت، أساس الصعود إلى اليوم الحقيقي (الخلود)، السلم للذين يسرعون لرؤية النور في ذاك الوجود (الخلود)، آلة الصعود للذين وُهبوا أن يبنوا الكنيسة، الحجر ذو الزوايا الأربع المنحوتة بإحكام على كلمة الله... وإذ جعله الله علامة خزي للشياطين فلا ينبغي أن نخجل نحن منه بل نقبله لأنه أُعطي لنا ليفك رُبُطنا التي صنعناها بعصياننا لله.]

(ميثوديوس أسقف أوليمبوس باترا وصور ٢٦٠ — ٣١٢م)(١٣)

لهذا نرى أن قوة الصليب وإشارته المقدسة عامل من العوامل الهامة جداً في سر مسحة المرضى.

خامساً — الصليب في سر الكهنوت:

هذا هو السر الوالد لبقية الأسرار، فبدون سر الكهنوت لا يمكن أن يتم أي سر آخر في الكنيسة.

وفي الواقع لا يُعتبر الكاهن بعد رسامته شخصاً عادياً، لأن المسيح يُجري الأسرار في

(12) - Div. Instit., Book IV, ch. XXVII. ANF, vol. VII, p. 129.
- Epitome of the Div. Instit., LI. ANF, vol. VII, p. 243.

(13) ANF, vol. VI, p. 399.

http://coptic-books.blogspot.com

الكنيسة بواسطته، فإن كان الكاهن هو الذي يعمّد وهو الذي يقيم الإفخارستيا وهو الذي يباشر موهبة الشفاء وهو الذي يعطي الغفران والحل من الخطيئة وهو الذي يزوّج، إلا أن الحقيقة السرائرية sacramental هي أن المسيح هو الذي يُجري هذه الأسرار في شخص الكاهن و بواسطته، إنما بطريقة سرية mystical غير منظورة.

حينما يُوضع الصليب على رأس المقدّم للكهنوت، يتقبل الإنسان بالصلاة و بقوة الصليب سر اللاهوت: أي سر الثالوث وسر التجسد وسر الفداء. و بذلك يتهيأ المقدَّم للكهنوت لحلول الروح القدس الذي ينفخه الأسقف في فم الإنسان، و بذلك يصير المقدَّم للكهنوت صالحاً أن يحل المسيح فيه، فيصير بذلك كاهناً يعمّد و يقدّس ويحل و يغفر و يشفي و يزوّج باسم المسيح و بفمه و يده!

لذلك، بعد أن يُرسَم الكاهن قساً لا يجوز وضع الصليب على رأسه بعد ذلك قط لأنه صار حاملاً للمسيح، فعند رسامته قصاً أو أسقفاً تتم الرسامات برشم الصليب على الكتف وليس على الرأس باعتبار كافة الدرجات الكهنوتية بعد القسوسية هي نير ومسئوليات توضع على الكتف. أما الكهنوت فلا يُعطى إلا مرة واحدة كتاج فوق رأس الإنسان الذي يُرمز إليه بقص شعر الرأس على مثال الصليب أي رفع مجد الإنسان الطبيعي لحمل مجد كهنوت المسيح الذي هو الصليب.

والعلاقة بين الكهنوت والصليب علاقة غاية في الإرتباط حتى إنه يُستطاع أن يُحسب الكهنوت صليباً والصليب كهنوتاً، لذلك فالصليب لا يفارق يد الكاهن قط.

سادساً ــ الصليب في سر الزيجة:

يقوم سر الزيجة على أساس إتحاد سري sacramental يتم بين الرجل والمرأة، جعله الكتاب المقدس على مستوى إتحاد المسيح بالكنيسة.

والمسيح إتحد بالكنيسة بواسطة عملين سريين:

الأول تواضعه الذي أكمل به الموت على الصليب لإمكانية إعطاء جسده ودمه للكنيسة أي إعطاء نفسه لها.

والثاني تطهير الكنيسة أي المؤمنين وتقديسهم لإمكانية حلول المسيح فيهم واتحاده بهم:

ــ «أيها الرجال أحبوا نساءَكم كما أحبَّ المسيحُ أيضاً الكنيسة وأسلم نفسَه لأجلها لكي يقدّسها مطهّراً إياها بغسل الماء بالكلمة لكي يُحضرها لنفسِهِ كنيسةً مجيدةً لا دنسَ فيها ولا غَضْنَ أو شيءٌ من مثل ذلك بل تكونُ مقدسةً و بلا عيبٍ.» (أف ٥: ٢٥ــ٢٧)

وبهذا يظهر أن الإتحاد القائم بين المسيح والكنيسة قائم على أساس بذل وتقديس، الذي يريد أن يجعله القديس بولس الرسول أساساً لإتحاد الرجل بالمرأة.

فحينما يضع الكاهن الصليب على رأس الرجل ثم المرأة والرأسان متلاصقان، فإنه بذلك يرفع الرجل والمرأة إلى دخول في حالة استلهام قوة الإتحاد السري الذي تم بين المسيح والكنيسة.

فإذا وضعنا في الإعتبار أنه لا يمكن أن يتم إتحاد سري في الحياة المسيحية إلا من واقع إتحاد المسيح بالكنيسة، أدركنا أن إجراء سر الزيجة هو عمل إيماني عظيم ودخول في سر من أعظم أسرار اللاهوت الذي من واقعه يصبح الرجل والمرأة كنيسة صغيرة.

من هذا يتبين أيضاً أنه من غير المعقول أن يتم سر الزيجة المقدس خارج الكنيسة، فكما أنه لا يمكن أن يتم سر الزيجة خارج المسيح، كذلك فهو لا يتم خارج الكنيسة؛ لأن وقوف الرجل والمرأة وسط المؤمنين وأمام الهيكل جزء جوهري من تقبُّل سر إتحاد المسيح بالكنيسة.

وكما أن بالصليب تمت قوة إتضاع المسيح و بذله، وفي نفس الوقت بالصليب تم

http://coptic-books.blogspot.com

تطهير الكنيسة وتقديسها بالدم المسفوك عليه بقبول شركة الحياة والإتحاد بالمسيح ؛ كذلك فوضع الصليب على رأس الرجل والمرأة إستمداداً لهاتين القوتين : قوة الإتضاع والبذل حتى الدم وقوة التطهير والتقديس بالدم ، هو في الواقع قوة سر الزيجة الذي يرافق الرجل والمرأة مدى الحياة ويجعلها كنيسة حية لا عيب فيها ولا دنس .

ومن صلوات الكنيسة القديمة للمؤمنين نقتطع هذه الكلمات المناسبة لنوضح بها فهم واستيعاب الكنيسة لكلام القديس بولس الرسول عن سر المسيح والكنيسة :

[كن منعماً عليهم ورحوماً واسمع لهم عندما يتضرعون إليك . واحفظهم ليكونوا ثابتين غير متزعزعين بلا ذنب ولا لوم حتى يكونوا مقدّسين بالجسد والروح لا عيب فيهم ولا غضن ولا شيء من مثل هذا بل يكونوا كاملين ولا ينقص أحدهم في شيء أو يتخلف .](١٤)



(14) Apost. Constit., Book VIII, ch. XI.

الصليب من وجهة التقليد العام

+++++

إن المسيح لم يتخصص في حياتنا للأعياد فقط ، ولا انحصر في الأبحاث اللاهوتية والعقائدية والفكرية ، بل ولا انحبس داخل الكنيسة لنتقابل معه في الأسرار فقط ، بل ، فوق كل هذا و بالرغم من كل هذا ، فالمسيح يلازمنا في حياتنا اليومية في أخطر المواقف وأبسطها ، وفي أعقد الظروف وأسهلها ، وفي أيام الفرح كما في أيام الحزن وفي ساعات الجد والعمل كما في أوقات المرح والراحة... هكذا الصليب!!

إشارة الصليب تراث تقليدي زاخر يتغلغل حياة المؤمنين من القرن الأول بتسليم رسولي ما في ذلك شك :

[بخصوص المعتقدات والممارسات المحفوظة في الكنيسة والمسلّمة عموماً ، بعضها استلمناه كتابة و بعضها الآخر تسلّمناه كما وصلنا في «سِرٍّ» حسب تقليد الرسل . وكلا هذين التسليمين لهما نفس القوة فيما يختص بالدين... وعلى سبيل المثال للنوع الثاني فلنأخذ المثل الأول والعام ، فمن الذي علمنا كتابةً أن نرسم بعلامة الصليب؟ أو ما هي الكتابة التي علمتنا أن نتجه في الصلاة ناحية الشرق؟]

القديس باسيليوس (١)

وإن كنا لا نستطيع أن نحدد استخدام الصليب ، لأن من المسلّم به أن إشارة الصليب يلزم أن تشاركنا حياتنا كلها بحركاتها وسكناتها ، كما يخبرنا بذلك كلٌّ من

(1) On the Spirit, ch. XXVII. NPNF, 2nd ser., vol. VIII, p. 40-41.

http://coptic-books.blogspot.com

القديس كيرلس الأورشليمي وترتليانس والقديس يوحنا ذهبي الفم :

[لا نخجل بعد من الذي صُلب على الصليب ، وليكن الصليب ختمنا الذي نضعه بشجاعة على جبهتنا بأصابعنا وعلى كل شيء ، على الخبز الذي نأكله وعلى الكأس الذي نشربه ، نرسمه في دخولنا وخروجنا ، نرسمه قبل نومنا عندما نرقد وعندما نستيقظ ، أثناء سيرنا وأثناء راحتنا ، عظيم هذا التحفظ بلا ثمن للفقراء وبلا جهد للمرضى ، لأن نعمته هبة من الله .

وبينا الصليب آية المؤمن ، فهو رعبة الشياطين لأن على الصليب ظفر المسيح بهم ، وفضحهم جهاراً ، لذلك فحينا يبصرون الصليب يذكرون المصلوب ويرتعدون لأنه عتيد أن يسحق رأس التنين ، فلا تستهينوا بهذا الرشم (الختم) — أي الصليب — لأنه بلا ثمن ، فهو هبة ، فينبغي بالحري إعطاء المجد للواهب .

اجعلوا الصليب أساس إيمانكم الذي لا يتزعزع ، وابنوا فوقه كل عوامل الإيمان الأخرى... فالصليب سوف يظهر مرة أخرى في السماء كالعَلَم الذي يسبق أمام الملك ، وإذ يعرفونه من الصليب يندمون حيث لا زمان للتوبة .

أما نحن فنفتخر بالصليب ونعظّمه عابدين الرب الذي جاء وصُلب عليه مع الآب الذي أرسله والروح القدس الذي له المجد إلى أبد الآبدين .]

القديس كيرلس الأورشليمي(٢)

[في كل خطوة نقْدم عليها أو أي حركة نقوم بها في دخولنا وخروجنا عندما نلبس ملابسنا ، عندما نستحم ، عندما نجلس لنأكل ، عندما نوقد المصابيح ، وعندما نخلد إلى الفراش ، وفي كل أعمالنا اليومية علينا أن نرسم الصليب على جبهتنا .

وبخصوص هذه القوانين إذا كنتم تصممون على العثور على استشهادات من الأسفار المقدسة تثبتها فلن تجدوا شيئاً . فالتقليد يقوم لكم بمثابة المصدر الوحيد الذي انحدرت منه هذه الوصايا إليكم ، كما تقوم العادة السارية كموثّق لهذه

(2) Cat. Lect., XIII, 36, 38, 41.

الشهادة ، والإيمان كالشاهد .]

ترتليانوس(٣)

[وصارت علامة الصليب تُرسم على ملابسهم وعلى تيجان الملوك وتُرسم في الصلوات ، وعلى المائدة المقدسة يرتفع الصليب ، وفي كل مكان من أرجاء العالم يضيىء الصليب بأكثر مما تضيىء الشمس .]

القديس يوحنا ذهبي الفم(٤)

إلا أنه يمكننا أن نقسم أنواع مواقف الحياة التي تستدعي الإلتجاء إلى استخدام الصليب :

أولاً — مواقف الصلاة :

من أعظم المصادر التي نستقي منها ضرورة استخدام قوة الصليب أثناء الصلاة ، التقليد الرهباني الذي لا يزال حياً في كثير من تسليماته منذ نشأة الرهبنة الأولى ، وذلك لأن الرهبنة هي حياة الصلاة بجملتها . والمعروف أن التقوى الرهبانية ليست مستحدثة على المسيحية ، بل هي ميراث رسولي وصورة حقيقية مخلصة لحرارة الكنيسة الأولى التي تركت كل شيء وتبعت المسيح وباعت كل شيء ووضعته تحت أقدام الرسل ، ليتفرغ الجميع للعبادة والصلاة .

لذلك فالحياة الرهبانية هي في الواقع حرارة الكنيسة غير المنطفئة ، والدعوة الرسولية الأولى غير المتزعزعة :

[الذين باعوا كل شيء وأعطوه للفقراء وفي كل ساعة من الليل والنهار حملوا

(3) De Corona, 3.
(4) Quast., III, 468.

http://coptic-books.blogspot.com

الصليب وتبعوا المخلّص بالصلوات .]

بالليديوس (٥)

لذلك نرى أن حمل الراهب للصليب أثناء الصلاة ، أمر واقعي مطابق لحياته ، لأن منظر الصليب في يده أو أمامه يشعله إشعالاً إذ يزكي موقفه كمن يتبع المسيح فعلاً ، قلباً وعقلاً وروحاً .

[وكان يبدأ بالمزامير و يسير فيها ، ثم بغتة ينحني و يسجد ويخر بوجهه على الأرض معفّراً جبينه بترابها مقدار مائة دفعة متواتراً بحدة من شدة الحرارة التي كانت تشتعل في قلبه من النعمة . وكان كلما يقوم يُقبّل الصليب وأيضاً يسجد و يقوم أيضاً يُقبّل ثم يخرُّ على وجهه . وكان أحياناً يُقبّل الصليب عشر ين مرة باشتياق ومحبة ممزوجة بمخافته...

و بكثرة الصلوات كان يرفع يديه إلى السماء (بشبه الصليب) ويمجّد و يشكر دفعات كثيرة ، وكان رجلاً متقدماً آبن أربعين سنة .]

(مار إسحق — الجزء الثاني ، الميمر التاسع)

هذه هي حياة الراهب ، مصلوبٌ شكلاً وموضوعاً ،
لا يفارق الصليب يده أو فمه أو قلبه !

وهو بحد ذاته حينما ينتصب في الصلاة يرفع يديه بمقتضى واجب طقس الصلاة ، ولا يخفضهما ، فيرسم بشكله صليباً و يقدم نفسه للعالم مصلو باً .

[نحن لا نعبد الصلبان ولا نهتم بها (في حد ذاتها)... ولكن حينما يقف الإنسان

(5) Lausiac Hist., Ancient Christ. Writers, p. 50.

يصلي بعقل طاهر و يداه مبسوطتان ، يكون هو نفسه مثال الصليب .]

مينوسيوس فيلكس (سنة ٢١٠م)
(شمال أفريقيا) في محاورة مع الوثنيين (٦)

وعند بدء كل سجدة يصنعها الراهب في صلواته يرشم صليباً على جبهته استمراراً للمتابعة العقلية والقلبية للمسيح ، إذ أن السجدة هي تعبير عن التوبة والإنسحاق وإشارة الصليب هي قوة الإتضاع بعينها التي تغذي التوبة أي المطانية .

[والنظام الأصيل القديم المتبع في رشم الصليب كان بالإبهام على الجبهة فقط باليد اليمنى ، أو على أي موضع آخر إما مرة واحدة أو ثلاث مرات .]

القديس يوحنا ذهبي الفم (٧)

وإن كنا نرى الآن الأساقفة ، على العموم ، يلبسون صليباً على صدرهم حسب التقليد ، فهذا حق ؛ ولكن الكهنة يحاولون تقليدهم في ذلك ، وهذا خطأ وضد التقليد ، وذلك لأن الأسقف راهب كامل ، والراهب الكامل (أي ليس مبتدئاً) يلبس الإسكيم ، والإسكيم هو الصليب الذي يتوشح به على صدره وعلى ظهره وعلى حقو يه باعتبار أنه سمَّر نفسه على الصليب فعلاً ، ولأنه ليس من الموافق للأسقف وهو في العالم و بين الناس أن يكشف إسكيمه الذي هو رمز يقظته وسلاحه وعلامة سهره وجهاده ، فقد استعاض عنه بالصليب الذي يحمله على صدره .

هذا الصليب إذن يرفع فكرنا إلى الوضع الرهباني الأصيل في حياة الجهاد والصلاة ، فالراهب يلبس الصليب (الإسكيم) بطقس خاص وصلاة وتسليم أنواع صلوات حتى يستمد منه قوة مستمرة على التجرد المطلق وإماتة الشهوات والجسد والسهر قبالة الحروب التي يثيرها العدو. أي أن الصليب في حياة الراهب يمتد من أوقات الصلاة ليشمل كل

(6) Minucius Filex, ch. XXIX. ANF, vol. IV, p. 191.
(7) Hom. ad., prop. Art XL.

ساعات العمر. لذلك يُدعى الرهبان الناسكون بلُبَّاس الصليب. ولابس الصليب بالمعنى الإنجيلي هوإنسان صار لا شيء مثل ميت:

[لتُحسَب روحي كلا شيء ونفاية من أجل الصليب الذي صار عثرة للذين لا يؤمنون أما لنا فخلاصاً وحياة أبدية.]

(رسالة القديس إغناطيوس إلى أفسس)

وفي التقليد الرهباني الأصيل كما سلمه الملاك لباخوميوس يفرض على الراهب أن يلبس لباس الرأس مرسوماً عليه صليب بخيط قرمزي (٨). لأنه معروف أن حصن الإنسان الذي يتحصن فيه ضد العدو هو الفكر المقدس، لذلك صار الصليب على الجبهة قوة تعين الراهب في صراعه الفكري مع قوات الظلمة العقلية غير المنظورة.

[بواسطة الصليب يستطيع الإنسان أن يطرد كل خداعات الشياطين.]

القديس أثناسيوس الرسولي (٩)

ومن معدات الراهب التقليدية الهامة في حياته، عكّازه، وقد تسلمته الرهبنة عن رأسها القديس أنطونيوس (٢٥١—٣٥٦م)، وهي العصا التي يتوكأ عليها أثناء وقوفه في الليل Vigilae والتي يصحبها معه في تنقلاته ورحلاته عبر الصحراء، ولكن هي من الظاهر عصا، وفي الحقيقة سلاح خفي يعرفه العدو فهي صليب، إنما صليب خاص معروف لدى علماء فنون الصليب بـ«صليب أنطونيوس» و يسمى Crux Commissa أي صليب الإستعداد أو الإنطلاق.

وهو على شكل T، وكان مستعملاً أيضاً للصلب، لأنه يوجد ثلاثة أشكال رئيسية للصليب:

الصليب الذي صُلب عليه المسيح والمُتفَق على شكله + و يسمى

(8) Palladius, Laus. Hist., p. 39.

(٩) تجسد الكلمة ٤٧.

Crux Immissa (١٠)، والصليب الذي صُلب عليه أندراوس الرسول وشكله × و يسمى Crux Decussata (١١)، والمعروف أن عكاز الراهب الذي هو في حقيقته صليب خفي يعتبر أول استخدام لصليب اليد، لأن الكنيسة ظلت مدة في البدء تستخدم أصابع اليد في رشم الصليب.

[وليلبس ثوبه البرّاق و يقف بجوار المذبح و يصنع رشماً بالصليب على جبهته بيده أمام كل الشعب و يقول: نعمة الله القادر على كل شيء ومحبة ربنا يسوع المسيح وشركة الروح القدس تكون مع جميعكم.]

(قداس القديس يعقوب الرسول)

[ولم يشرب (الشهيد) الكأس قبل أن يصنع علامة الخلاص (الصليب).]

ثيئودور يت المؤرخ (١٢)

إذن فعكاز الراهب هو بداية استخدام الصليب في اليد، لذلك نرى من التقاليد الراسخة والمُتَّبعة تماماً أن الأسقف يحمل عكازه إياه القديم بصفته راهباً، أي صليبه الخفي الذي سُمي فيا بعد بعصا الرعاية، عوضاً عن الصليب في اليد. أما الكاهن فلا يحمل عكازاً حسب التقليد الأصيل وإنما يحمل صليباً في يديه دائماً.

وليس في طقس رسامة الكاهن أي إشارة إلى تسليمه عصا الرعاية، ولكن في رسامة الأسقف يدخل عكازه القديم معه في الرسامة وتبارك الكنيسة عليه ليصير عصا للرعاية. وانتقل شكل العكاز ومعناه إلى الكنيسة كلها بعد ذلك، فصارت تحمله على البيارق للتعبير عن النصرة والقيامة.

(10) Just., Dial. c. Tryph., 91; Iren., Against Her., II, 24,4.

(١١) أحد التلاميذ الإثني عشر. استُشهد في مدينة باتراس بإقليم أخائية سنة ٦٠م مصلوباً على صليب × سُمي باسمه. وهو شفيع اسكتلندة، وشفيع البعثات التبشيرية عموماً.

(12) Hist. Ecc., III, 3, 13.

[وفي القسطنطينية ألّف القديس يوحنا ذهبي الفم للأرثوذكس بعد أن انتصروا تسابيح مسائية أُضيفت على التسبحة التقليدية وكان المؤمنون يخرجون في المساء يرتلون بها وهم يحملون صلباناً من الفضة أهدتها إليهم الملكة أفدوكسيا وعليها شموع مضاءة.](١٣)

كل هذه التقاليد الرهبانية لم تنحصر في الطقس الرهباني بل صارت مُشاعة للكنيسة كلها بكل شعبها، لأن الرهبنة كانت ويجب أن تظل نموذجاً للحياة المسيحية، نموذجاً واضحاً وأصيلاً وليس وضعاً خاصاً أو نموذجاً فريداً أو حياة غريبة، فالرهبنة هي صورة أصيلة للكنيسة الأولى. لذلك نرى أن العلمانيين الأتقياء يستخدمون نفس هذه التقاليد عينها بصور مبسطة.

[إن خشبة الصليب ذات قوة فعالة للخلاص لكل الناس، ولو أنها كما أعلم جزء من شجرة حقيرة ربما أقل قيمة من كافة الأشجار، ولكن العلّيقة التي رآها موسى أيضاً كانت كذلك والله استُعلن بحضوره فيها... فهذه كلها قد جُعلت واسطة لتكميل معجزات عظيمة لما قبلت قوة الله.]

القديس اغريغوريوس النيسي(١٤)

ومن الأمور التقليدية المتوارثة في الحياة الرهبانية الأصيلة، أن صليب الراهب الذي كان يستمد منه القوة والعون في صلواته أثناء حياته كان يوضع في يده اليمنى وتسند يده على صدره عندما توضع جثته في القبر. وذلك لأن من المقطوع به أن للصليب قوة الغلبة على الموت والفساد ومن له سلطان الموت.

[علامة الصليب تذكار الإنتصار فوق الموت وفوق فساده.]

القديس أثناسيوس الرسولي(١٥)

(13) Socr., Ecc. Hist., Book IV,8.
(14) On the Baptism of Christ. NPNF, 2nd ser., vol. V, p. 519-520.
(١٥) تجسد الكلمة ٣٢.

ثانياً — مواقف الخطر وزمان الأتعاب والتجارب:

المخاطر والأتعاب والتجارب حينما تداهم غير المهتمين بخلاص أنفسهم، المهملين للصلاة والمحتقرين للحياة الأخرى تكون عندهم بشكل مصائب يحاولون التخلص منها بأي ثمن وبأي شكل، ويكون التجاؤهم في هذه الأوقات إلى الصلاة أو القديسين أو الصليب هو لمحاولة الهروب من الضيقة والإستعفاء من الألم فقط.

أما أولاد النور المهتمون بخلاص أنفسهم الساهرون لهذا بعينه والناظرون للحياة الأبدية كعتق وخلاص حقيقي ونعمة عظمى، فإنهم ينظرون للمخاطر والأتعاب والتجارب كحرب ينبغي ملاقاتها بقلب شجاع وبأس وقوة. لذلك يسارعون بدون قلق إلى لبس أسلحة الحرب لمواجهة العدو في الداخل والخارج، في الداخل لصد كل هجمات الشكوك والحزن المفسد والتذمر واليأس، وفي الخارج لاحتمال جروح العدو وأشواكه التي تصيب الجسد والإسم والكرامة والآمال الكاذبة.

هنا الصليب يدخل كسلاح فعال جداً في هذه الحروب ويأتي بنتائج منظورة ومحسوسة وباهرة للغاية.

[لأن الصليب إذا أردنا أن نصفه فهو علامة تثبيت النصرة، الطريق الذي انحدر عليه الرب إلى الناس، علامة هزيمة الأرواح، صد الموت، أساس الصعود إلى اليوم الحقيقي (الخلود)، السلم للذين يسرعون لرؤية النور في ذلك الوجود (الخلود)، آلة الصعود للذين وهبوا أن يبنوا الكنيسة، الحجر ذو الزوايا الأربع المنحوتة بإحكام على كلمة الله... وإذ جعله الله علامة خزي للشياطين، فلا ينبغي أن نخجل نحن منه بل نقبله لأنه أُعطيَ لنا ليفك رُبطنا التي صنعناها بعصياننا لله.]

ميثوديوس أسقف أوليمبوس

http://coptic-books.blogspot.com

[و يكفينا الآن أن نوضح القوة الفعّالة العظيمة التي لعلامة الصليب، وكيف أن هذه العلامة أصبحت فزعاً للشياطين، لأنه كما أن المسيح عندما كان عائشاً بين الناس، كان يطرد الشياطين بكلمته و يعيد للمرضى والمنزعجين والمجانين صحتهم وحواسهم التي أفسدتها الشياطين بهجماتهم الخطيرة ــ والتي اندسّت داخل أجسادهم ــ كذلك الآن فإن أتباع المسيح يُخرجون هذه الأرواح النجسة من الناس باسم المسيح و بعلامة الصليب... فتخرج معذّبة مصروعة معترفة أنها شياطين ومستسلمة لمصيرها بيد الله.

ولكن الشياطين لا تجرؤ أن تقترب من المسيحيين، حينما ترى فيهم هذه العلامة السماوية (الصليب) التي تصير لهم مثل سورٍ منيع يحميهم.]

لكتانتيوس(١٦)

[لا يضعف أحد منكم، وخذوا سلاحكمْ إزاء المحن و بالأخص بسبب الصليب نفسه، إعلنوا إيمانكم بالصليب وأشهروه كراية ضد المقاومين والمنكرين له، وعندما تبدأون المناقشة مع غير المؤمنين بصليب المسيح، اصنعوا أولاً إشارة الصليب بإبهام يدكم وحينئذ سوف يسكت المقاومون. ولا تخجلوا من الإعتراف بالصليب... لأن الصليب تاج مجد وليس عاراً]

القديس كيرلس الأورشليمي(١٧)

[ومن يريد أن يختبر هذا عملياً فليأتِ و ينظر كيف يبطُل خداع الشياطين والعرافة الكاذبة وعجائب السحر بمجرد رشم الصليب، والشياطين تلوذ بالفرار.]

القديس أثناسيوس الرسولي(١٨)

---

(16) Div. Instit., Book IV, ch. XXVII, ANF, vol. VII, p. 129.
(17) Cat. Lect., XIII.22.

(١٨) تجسد الكلمة ٤٨.

[والشياطين لم تعد تضل الناس بعد بخداعها وعرافاتها الكاذبة وسحرها، فإن هي تجرأت وأقدمت على ذلك فإنها تُضبط بالخزي والفضيحة بواسطة الصليب.]

القديس أثناسيوس الرسولي(١٩)

[أعطانا السيد المسيح إلهنا الصليب سلاحاً نافذاً ينفذ في النار والهواء والماء والأرض ولا يحجبه شيء أو يعترض قوته عارض، فهو قوة الله التي لا تقاوَم. تهرب من صورته الشياطين حينما يُرسم به عليها! الصليب هو قوة المسيح للخلاص والملائكة يخضعون لقوته و يتبعونه حيثما شاهدوا رسمه ليعينوا الملتجيء إليه. ولا تحصل تخلية لمن حمل الصليب إلا للذي ضعفت أمانته فيه.]

البابا أثناسيوس الرسولي(٢٠)

[بدلاً من أن تحمل سلاحاً أو شيئاً يحميك، إحمل الصليب واطبع صورته على أعضائك وقلبك، وارسم به ذاتك لا بتحريك اليد فقط بل ليكن برسم الذهن والفكر أيضاً. إرسمه في كل مناسبة: في دخولك وخروجك، في جلوسك وقيامك، في نومك وفي عملك، إرسمه باسم الآب والإبن والروح القدس.]

القديس مار أفرآم السرياني(٢١)

[نحن نكرّم الصليب ونطلب قوته المحيية في صلواتنا قبل أن نطلب معونة القديسين أو شفاعتهم. وذلك لأن الصليب هو علامة ابن الإنسان ورسم تجسده وآلامه لخلاصنا. فعلى الصليب قدّم السيد المسيح نفسه ذبيحة لله الآب من أجل خطايانا لكل من يؤمن به. لذلك صارت علامة الصليب هي الإشارة المشتركة بين جميع

---

(١٩) تجسد الكلمة ٥٥.
(٢٠) حياة الصلاة الأرثوذكسية، الطبعة الثانية ص ٦٧١.
(٢١) حياة الصلاة الأرثوذكسية، الطبعة الثانية ص ٦٧١.

المؤمنين كرمز للخلاص والمحبة المشتركة .]

القديس كيرلس الأورشليمي[٢٢]

[إن كانت الحية النحاسية قد أبطلت سم الحية في العهد القديم فكم بالحري صليب ربنا يسوع المسيح ، الذي رُفع عليه ليس حية نحاسية بل رب المجد . لقد سكب دمه على الصليب ليصير لنا بالدم الحياة و بالصليب النصرة .]

القديس كيرلس الأورشليمي[٢٣]

[إن الشياطين توجه هجماتها المنظورة إلى الجبناء . فارسموا أنفسكم بعلامة الصليب بشجاعة ودعوا هؤلاء يسخرون من ذواتهم . أما أنتم فتحصَّنوا بعلامة الصليب .]

القديس أنبا أنطونيوس[٢٤]

[إن الشياطين إذا رأت المسيحيين ، سيَّما الرهبان ، مجدِّين بابتهاج ومتقدمين ، فإنها تهاجمهم أولاً بالتجربة ووضع الصعاب لعرقلة طرقهم محاولة أن تنفث فيهم الأفكار الشريرة . ولكن لا مبرر للخوف من إغراءاتها لأن هجومها يرتد خائباً في الحال بالصلاة والصوم... سيما إن كان المرء قد سبق فحصَّن نفسه بالإيمان و بعلامة الصليب .]

من سيرة الأنبا أنطونيوس بقلم أثناسيوس الرسولي[٢٥]

ثالثاً ـ مواقف السلام والراحة والفرح:

يوجد سلام حقيقي و يوجد سلام كاذب ، وتوجد راحة حقيقية وراحة كاذبة ،

(٢٢) حياة الصلاة الأرثوذكسية ، الطبعة الثانية ص ٦٧٣ .
(٢٣) حياة الصلاة الأرثوذكسية ، الطبعة الثانية ص ٦٧٣ .
(٢٤) حياة الصلاة الأرثوذكسية ، الطبعة الثانية ص ٦٧٣ .
(٢٥) حياة الصلاة الأرثوذكسية ، الطبعة الثانية ص ٦٧٥ .

و يوجد فرح حقيقي وفرح كاذب ، والفرق بين الحقيقي والكاذب في الحياة المسيحية هو أن الحقيقي يدوم والكاذب لا يدوم !

أما بخصوص السلام والراحة والفرح الكاذب فلا نستطيع أن نعتبره إلا نوعاً من الحرب يسوقها العدو علينا بجلب المسرَّات والمديح والفلاح والشهرة والمال والأطعمة والوظائف المحترمة ، لكي ينسينا الطريق الضيق والموت الذي ينبغي أن نموته عن العالم ، أو بلغة التقليد ، لكي ينسينا إسكيمنا و ينزع عكازنا من أيدينا و يعرِّي رأسنا ! وفي هذا المضمار نجد أولاد النور لا ينخدعون بهذه التملقات التي يتملقهم العالم بها ، بل نجدهم صاحين وعلى حذر ، و يدهم دائماً على سلاحهم !

أما أولاد مسرَّات هذا الدهر فينغمسون في الفرح حتى إلى آخر لحظة ، ولا يستيقظون منه إلا على طعنة من طعنات العالم تنتزعهم من أفراحهم انتزاعاً لتطرحهم في الغم واليأس الذي يأكل كل سلامهم الماضي و يأتي على كل آمالهم... وإن هم حاولوا المواجهة والحرب في آخر لحظة ، يجدون يدهم عاجزة عن حمل الصليب وعكازهم مكسوراً !

أما السلام والراحة والفرح الحقيقي ، فلا يعرفها إلا أولاد النور والتي توجد وتنمو في كل وقت وفي كل ظرف بل ولا تزدهر وتتجلى إلا فيما يسميه الآخرون بالمصائب والمحن ، ففيها يحلو النشيد ، نشيد الصليب والتأمل فيه و يرتفع رسمه في اليد وفي القلب والفكر عالياً . و يصير تمجيده كسلاح النجاح و يعتز الصليب جداً في عين من جازوا الموت وقاموا...

[كل عمل عمله المسيح للكنيسة هو سبب مجد لها ولكن أعظم أمجادها هو الصليب ! لذلك يقول القديس بولس الرسول : « حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح . » (غل ٤ : ١٤)

إن مجد الصليب قاد كل من فقد البصيرة بسبب الجهالة من الظلمة إلى النور

http://coptic-books.blogspot.com

وفك قيود كل من ارتبطوا جداً بالخطيئة وفدى كل عالم الإنسان.]

القديس كيرلس الأورشليمي(٢٦)

[إن «العلو والعمق والطول والعرض» وصفٌ للصليب،... لذلك فالصليب «بعد أن صُلب» عليه المخلِّص صار علامة النصرة والغلبة على العدو، لأن المسيح لما صُلب عليه أحدر ثلاث ممالك مرة واحدة تحت قدميه، التي يعبِّر عنها القديس بولس الرسول بقوله: «لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض» (في ٢: ١٠). وقد غلب هذه الممالك بموته لأن موته هو السر الذي يجيب بهذا. فهو عندما ارتفع في الهواء (على الصليب) أخضع قوات الهواء وكان ذلك تمهيداً لامتداد نصرته فوق السماوات.]

العلاَّمة روفينوس(٢٧)

القديس غريغوريوس النيصي يرى في إشارة الصليب أعماقاً روحية ومعاني مستترة تزيد من هيبة الصليب ومن جلال قوته:

[أما بخصوص الصليب فكونه يحوي معاني عميقة فهذا يختص بالمتأملين في الروحيات، ولكن على أي حال فإن التعليم حسب التقليد المسلَّم إلينا هو كما يلي:

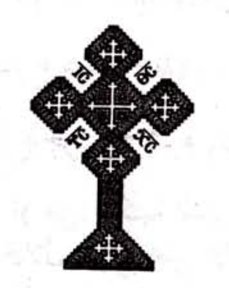
فكما أن كل شيء في الإنجيل سواء كان أعمالاً أو أقوالاً فإنه يحمل معاني سماوية عالية، فهذا أيضاً نعرفه عن إشارة الصليب. فهو ينبثق من نقطة واحدة نحو أربع جهات، لأن عليه تمدد من جمع كل شيء في نفسه، كل ما هو فوق وما هو تحت وما هو ممتد على جانبيه... فكل الخليقة تتطلع إليه وتلتصق وتتوافق معاً بواسطته... الخليقة العليا تلتحم بالسُفلَى وبنفسها، وهكذا ينطلق القديس بولس

(26) Cat. Lect., XIII.1.

(27) A Commentary on the Apostle's Creed, ch. 14. NPNF, 2nd ser., vol. III, p. 549.

الرسول يعلِّم أهل أفسس أسرار المعرفة «لنعرف مع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو» التي تمثِّل في الحقيقة انبثاقات الصليب. هذا هو مثال الدرس الذي نستخلصه من سر الصليب.]

«ترجمة مختصرة»(٢٨)



(28) Great Cat., ch. XXX. NPNF, 2nd ser., vol. V, p. 498.

http://coptic-books.blogspot.com

يستمد الصليب قوته الخالدة واللانهائية والخلاصية من موت يسوع المسيح آبن الله عليه. فالمرادف اللاهوتي لكلمة الصليب في المسيحية عميق غاية العمق، فكلمة «الصليب» تعادل في مضمونها الإيماني إنجيل الخلاص كله! فهي تعني في بساطة وإيجاز موت يسوع المسيح من أجل خطايانا، لذلك فالكرازة بالإنجيل تعني الكرازة بالصليب.

والكرازة بالصليب للناس لا تحتاج أقوالاً كثيرة أو حكمة عميقة: «لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح» (١ كو١: ١٧)، فالصليب قوة وليس كلاماً، أي أن الصليب لا يظهر للناس بالشرح ولكن بالإيمان والفعل: «فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلَّصين فهي قوة الله.» (١ كو١: ١٨).

فلكي نكرز بالصليب يلزمنا أن نؤمن بقوته ونحيا فيها ثم نقدمها للناس ليذوقوها.

http://coptic-books.blogspot.com

الثمن جنيه ونصف